

طارق الكرمي* في «ضحى الوحيد» كأعمى تدور عليّ الدوائر

«ضحى الوحيد» هو العنوان الذي اختاره طارق الكرمي لمجموعته الأولى الصادرة عن مركز «أوغاريت» الثقافي للنشر والترجمة بالتعاون مع «بيت الشعر» في فلسطين.

هل يمكن أن نتحدث عن الجراءة في سياق الحديث عن التجربة الشعرية، أو التمرد، ربما، على اللغة السائدة؟ تتسم تجربة طارق الكرمي بهذا التمرد، وتذهب في ذلك إلى مناطق متقدمة في تداخل، مقصود، للاستخدامات العامة من جهة والذهاب الخاص في اختيار زاوية النظر والدخول إلى المشهد اليومي المبني على الذاكرة الشخصية بكل مقتنياتهما.

وكأنما يحاول الكرمي عبر اقتراح هذا التعارض بين قوة المشهد و«ذاتيته» وإدخال اقتراحاته بتعديل نطقي مأخوذ من اليومي والمتداول على النص إيجاد توازن وسد تلك الثغرات التي قد تبرز في السياق. يبالغ طارق في ذلك ويذهب إلى أقصى الاقتراح ويحافظ في الوقت نفسه على خصوصية مبكرة تجعل من «ضحى الوحيد» إضافة ذات تميز في المشهد الشعري الفلسطيني الجديد وإقلاع قوي لشاعر لم تأسره اللغة السائدة والموضوع المتداول.

في التفاصيل تبرز حساسية هذا الشاعر، في الحفر في طفولته وحاجاته ورغباته وحسية علاقته بمقتنيات الحياة، يجمع أملاكه ويصفها ويذهب إلى المسكوت عنه في القاموس والمشهد فيما يشبه اندفاعاً عنيفاً ورغبة في فتح السلالم المؤدية للقبو، هناك تتراكم الحاجات القديمة، تلك التي لم نقلها أو نفصح عنها، والصور التي كنا نرغب بشدة في تعليقها في مدخل البيت .. ولم نفعل، الجسد الذي أهملناه في النص وتفادينا الجلوس إليه وتأمله، الأغراض نفسها تبدو قابلة للتفتح وتبادل الحديث وإعادة ترتيبها.

في العتمة هناك سنصلهم بالأغراض والمتعلقات في السقف والدرجة المكسورة ورائحة التجاهل والغياب والنسيان والمقتنيات المجففة، رائحة العائلة ورائحة الصداقة ورائحة الجسد ورائحة الأسئلة.

«كأعمى تدور عليّ الدوائر...» هكذا يقول وهو يرتطم بعالمه الخاص العميق والشخصي.

فيما يلي نختار عدداً من قصائد المجموعة قد تعطي صورة عن اقتراح الشاعر و«ضحى الوحيد».

(غ. ن)

الشاعر

ما ستفعلُ حينَ وحيداً إلى
 صدأ الصوت والظلُّ أنتَ
 لتأخذَ من قَدَحِ الشاي
 نبضَ القرنفلِ نبضةً ثانيةً سقطتُ فِ الظلالِ حفيفاً
 و10 دقائقَ قَدَّامَ
 مرأتكِ الكسرتُها عيونكُ
 أو كسرتُ هكذا نفسها
 أنتَ تفعلُ كلَّ الذي سوفَ تفعلُ
 حينَ وحيداً إلى وجهكُ
 الشارعُ الآنَ للحشراتِ الأليفةِ
 والأرستقراطيينَ والزنجِ
 والأوجهِ الحجريةِ
 رأيتُ فتىً ولداً آخرَ الشارعِ المستدقِّ
 فتىً يقطعُ الشارعَ المستدقِّ
 كموسى لكي يصلَ ،
 الوقتُ صوانةٌ خُدشتُ
 ثمَّ يخطو كعينينِ خاطفتينِ
 ليجلسَ فِ الشجرِ المستراحِ
 عَ مقعدهِ المتأخرِ عنِ مطرِ وأمرأةِ
 ليأخذَ من قَدَحِ الضوءِ نبضَ القليلِ
 ونبضِ حصاةٍ ويفتحُ فِ الأرضِ
 رَمَلَ كتابُ
 وسيمضي في ذرَّةِ الروحِ
 في دورةِ النملِ يُمعنُ
 في دورةِ الدمِ والطيرِ
 في دورةِ
 للترابِ .

الرّصاص

كما يَفْتَحُ الطُّفْلُ عَيْنَيْهِ حَسًّا
 نُفْتَحُ أُشْرَعَةً ف الصِّبَا حَمِيقُ
 العَصَافِيرُ تَكْرُجُ مَقْصُوصَةً فِ الْعَيُونِ اللَّمِيعَةِ
 تَكْرُجُ مَقْصُوصَةً فِ الْبِلَادِ الَّتِي طَرَدَتْ
 فِ مَسَاءٍ عَصَافِيرَهَا غَبْشًا
 كَمَا أُحَدِّثُ الْقَطَارَ الْأَخِيرَ
 يَرِشُ فِتَاتَ النِّشِيدِ
 كَمَا فِ الصَّبْحَةِ تَعْلَفُ حَسَنَةً
 أَهِيَ الْعَصَافِيرُ فِ النَّافِذَاتِ الْخَفِيضَةِ
 تَعْرِقُ دَرْعَةً
 أَهِيَ تَسْكُنُ فِ الْغَصَنِ
 سِرَّ الْبِلَادِ وَتَلْتَقُ الْأَمْسِيَاتِ
 قَمِيصًا وَرَايَةً
 أَيُّهَا اللَّهُ

مِنْ أَيْنَ تَأْتِي الرِّصَاصَاتُ
 فَاتِنَةٌ
 نَاعِمَةٌ؟

تدور عليّ الدوائر

(إلى السوداني مراد،
 صديقي جداً)

إِذَا شِئْتَ قُدْنِي
 كَأَعْمِي تَدُورُ عَلَيَّ الدَّوَائِرُ
 وَكُنْ فِ الْوَضُوءِ الْجَمِيلِ
 وَفِي بَادِخَاتِ الْقَفَارِ عَلَيَّ حَجْرٍ فِ الظَّهِيرَةِ

مُنْسِكِبِينَ تَمَامَ الْفَضَاءِ وَمُحْتَسِبِينَ
 رَنِينَ هَوَانًا وَبَاقَةَ عَطْرِ
 لَسِيدَةِ الْحَزْنِ وَالتِّينِ
 هَيَّئِ لِي الْآنَ مَا لَانْدِلَاعِ
 الْبَيَاضِ
 سَمَاءِ
 لَنَا لَمْ تَطَّأَهَا مَنْافِ

أَيُّهَا الْمَسْرُفُ الْقَلْبَ وَالْوَرْدَ
 يَا لَائِمِي
 فَلَنَكُنْ مَطَرَ الْيَاسْمِينَةِ
 أَشْرَعَةً وَبُخُورَ صَدَى
 يَتَجَلَّى فِي سَقْفِ
 الطَّوَافِ .

إخوة

هَذَا الْمَسَاءَ يَنَامُ مَعِيَ إِخْوَتِي
 عَلَى شَرْفَةِ وَوَسَادَةِ
 - إِخْوَةٌ لَسْتُ أَبْصِرُهُمْ
 لَسْتُ أَعْرِفُ أَوْلَهُمْ -
 جَمِيلِينَ مِثْلَ الْجِرَاحِ
 وَدُودِينَ مِثْلَ صَبَاحِ عَخْدِ الْكَسُولَةِ

فِي حَجْرَةِ الزَّيْتِ وَالْأَمْسِيَّاتِ
 تَنَامُ جِرَاحُ الصَّنُوبِ صَابِحَةً
 وَالْقَمِيصُ الْغَرِيقُ

فِي ذَاتِ الْمَسَاءِ يَفِيقُ

معي إخوتي
إلى جثة الفجر
مثل الجراح جميلون
مثل أيائل تموز
لهم سوف أفتح مؤتمراً للبلابل
نهر الضحى
دفتر الدم والندم
إنهم الشهداء .

بلقيس في صباحها المدرسي

على رسل ف الصباح الخداج
بفنجالك البورسيلان تضيئيني
ف بخار موسى
على عجل ف الصباح
تناديك ماما إلى زهوة
الشبر الأنثوي ومريولك المتقاصر
إلى فضة الصبح
وساندويشة الجبن والموعظة
وأنت تعدين شنطتك الجلد
دفاترك الخضر في عجل
بيض أقلامك ألد 10
الشال والبكلة
الجارحة
وبفارغ أوردتي كنت هذا
الثلاثاء أنتظر
الريق م الغيم أنتظر
الطلة المريمية
من آخر الشارع المثائب

واللفتة الفاضحة
لماذا يميلُ على جانبيك سنونو
وغصنا ارتجاف ليهتز
هذا الثلاثاء حولك 7 مرأيا
و7 فراشات في خجل للبنات
جرحت فخاصرة للفضاء
فصار الثلاثاء أرفف ما بين ككشكش المر
والزر
صار الثلاثاء ألمع بين يديك
صار الثلاثاء أنصع
صار الثلاثاء
صار
فكم أنت أشهى من الحب
والقصب المتناول
إذ تنظرين ارتباكاً فتبرد
كل المواسم بين مفاصل روجي
وزنقة الدم
نبرد ف الجنة
الفادحة .

حصاد فرديسيا

هاتي نذري القمح
هاتي يا زبيدة
إنها رنة الغلال شهيقها
أيد لفلاحاتنا يشمرن
صيف ثيابهن
العنز والبيت المكحل

بالصباح
 الجونةُ القشُّ
 اتبعي حَجَلَ الطفولة ف الظلال
 لآخر الحقل استمري قطفَ قلبي
 أي زبيدةُ
 إنها ریحُ الخيامِ
 خُطى تنوءُ
 ومفرقُ ف الرأسِ
 يعبرهُ قطارُ
 الثلجِ .

فاكهة

كلُّ هذا النعاسُ
 المضاء بفروته
 عصفُةُ ف الحرير
 ارتجافةُ شموع
 هنا ضوأتُ حجراتِ الغيابِ
 سحابةُ
 ما شفتُ
 عطراً ونقشاً
 كلُّ هذا البياضُ يُفاكهني
 ظلُ اليدينِ الطريُّ يُفاكهني

غير أني لعينُ
 الجنائن
 كاهنها المبتلى عطشاً .

* شاعر فلسطيني يقيم في طولكرم .